

جهود العلماء في التصنيف في الطواعين والأوبئة

أمين بن أحمد انقيرة

nkira7@gmail.com

تاريخ النشر: 2020 / 10 / 15	تاريخ القبول: 2020 / 09 / 03	تاريخ الإرسال: 2020 / 08 / 24
-----------------------------	------------------------------	-------------------------------

ملخص :

يروم هذا البحث تعريف مفهوم الوباء والطاعون من الناحية اللغوية والشرعية والفرق بينهما، كما تعرض للحديث عن الطواعين والأوبئة التي مرت في تاريخ الإسلام بدءاً بالعهد النبوي ومروراً بعصر الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، مع ذكر لبعض المصنفات المطبوعة والمخطوطة في الطواعين والأوبئة، مبرزاً بعض أسباب التأليف فيها، ومركزاً على ضرورة عناية الباحثين بالتراث المخطوط خصوصاً المتعلق بجانب النوازل منها والفتاوى والأجوبة.

الكلمات المفتاحية:

جهود؛ العلماء؛ التصنيف؛ الطواعين؛ الأوبئة.

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، خلق الداء والدواء، وهو النافع الضار، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه السالكين منهجه القويم، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فلا يخفى على الإنسانية جمعاء، ما يعيشه العالم اليوم؛ في مطلع سنة 2020م من الانتشار الرهيب لفيروس كورونا المستجد أو مرض covid19، والذي خلف في نفوس العالمين وقعا شديداً؛ كان له الأثر البالغ على جميع المستويات؛ سواء الإنسانية أو الروحية أو الاقتصادية أو الثقافية... الخ.

ولهذا حاولت في هذا المقال الذي عنونته ب:

جهود العلماء في التصنيف في الطواعين والأوبئة

أن أسلط الضوء على هذا الموضوع الذي له أهمية بالغة؛ ستتجلى بعون الله وتوفيقه في ثنايا هذا البحث المختصر.

وقد ارتأيت أن يكون حديثي بعد هذه المقدمة في محورين:

الأول: في دلالة الوباء والطاعون، والفرق بينهما.

الثاني: في المصنفات المؤلفة في الأوبئة والطواعين المخطوطة والمطبوعة.

ثم ختمت بخاتمة: ضمنيتها بعض النتائج والتوصيات، وكذا فهرس للمصادر والمراجع.

هذا ونسأل الله تعالى أن يرفع عنا وعن هذه الأمة جمعاء هذا الوباء، وأن يعجل لنا برحمته ولطفه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

مفهوم الطاعون والوباء والفرق بينهما:

لا بد من هذا المدخل لتحديد الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمفهوم الطاعون والوباء، ثم استنتاج الفرق بينهما.

تعريف الطاعون والوباء:

قال الفراهيدي: (الوباء، مهموز: الطاعون، وهو أيضاً كل مَرَضٍ عامٍّ، تقول: أصاب أهل الكورة العام وباء شديد.. وأرضٌ وِبْئَةٌ، إذا كثر مَرَضُهَا، وقد استوبأتمها.. وقد وَبُؤَتْ تَوْبُؤً وَبَاءَةً؛ إذا كَثُرَتْ أَمْرَاضُهَا)¹.

ومن دلالات الطاعون في اللغة ما ذكره الزمخشري، قال: (طعنه بالرمح، وهو مطعان، وطاعنته، وتطاعنوا، واطعنوا، ورجل طعين، ومن المجاز: طعن فيه وعليه، وطعن عليه في أمره طعنانياً، قال:

¹ الفراهيدي، العين (8 / 418)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

وأبى ظاهر الشنائة إلا ... طعنناً وقول ما لا يقال

وهو طعان في أعراض الناس، وله فيه مطعن ومطاعن، وطعن في المفاضة، وطعنت بالقوم: سرت بهم، قال درهم بن زيد:

وأطعن بالقوم شطر الملو... ك حتى إذا خف المجدح

وخرج يطعن الليل: يسري فيه، وطعن في السن العالية، وطعنت في الحيضة الثالثة، وطعنا في الصيف، وطعنت الفرس في عنانها، قال لبيد:

ترقى وتطعن في العنان وتنتحي ... ورد الحمامة إذ أجد حمامها

وطعنت في أمر كذا، وكل ما أخذت فيه ودخلته فقد طعنت فيه، وطعن في نيطة إذا مات، وطعن من الطاعون فهو مطعون، وهو من الطعن؛ لأنهم يسمون الطواعين: رماح الجن، ويزعمون أن الجن يطعنونهم².

وللوباء في اللغة عدة دلالات، منها:

✓ الإيماء؛ أن يكونَ أمامك فتشير إليه بيدك وتُقْبَلْ بأصابعك نحو راحتك تأمره بالإقبال إليك، والإيباء أن يكونَ خلفك فتفتح أصابعك إلى ظهر يدك تأمره بالتأخر عنك، قال الفزردق:

ترى الناس إن سِرنا يسرونَ خَلَفنا ... وإن نَحْنُ وَبَّنا إلى الناسِ وَقَفُوا³

المرض العام؛ كما سبق الإشارة إليه.

سُرعة الموت وكثرتة في النَّاسِ⁴.

أما من الناحية الشرعية، فقد تعددت تعاريف العلماء لهما، ونقتصر منها على ما يلي:

تعريف أبي الوليد الباجي: (الوباء هو الطاعون، وهو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات دون غيرها، بخلاف المعتاد من أحوال الناس وأمراضهم، ويكون مرضهم غالباً مرضاً واحداً، بخلاف سائر الأوقات، فإن أمراض الناس مختلفة)⁵.

تعريف القاضي عياض: (أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد، والوباء: عموم الأمراض، فسميت طاعونا لشبهها بالهلاك بذلك، وإلا فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً)⁶.

² الزمخشري، أساس البلاغة (1/ 605-606)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

³ أبو الحسن المرسي، المحكم والمحيط الأعظم (10/ 566)، المحقق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000.

⁴ الزبيدي، تاج العروس (1/ 478)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

⁵ أبو الوليد الباجي، المنتقى شرح الموطأ (7/ 198)، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332 هـ.

والخلاصة أن بين الوباء والطاعون عموماً وخصوصاً، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون، فإنه واحد منها⁷. وللتنبية فإن الإمام ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) قد كفانا عناء جمع الطواعين التي وقعت في الإسلام في كتابه "بذل الماعون في فضل الطاعون"⁸، واختصرها الشيخ زكريا الأنصاري (ت926هـ) في "تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين"⁹، وزاد عليها بعض المهمات، ثم ذكر الطواعين التي جاءت بعد عصر ابن حجر (ت852هـ) إلى عصره رحمهما الله، والكتاب ما زال مخطوطاً، وقد حققت الجزء المتعلق بالطواعين، ونشر في مجلة كلية الشريعة بفاس-المغرب.

وقد ذكر المدائني ثم ابن أبي الدنيا وابن قتيبة منها يسيراً، ومن العلماء من سرد نحوًا من أربعين فصلاً، لكن الكثير منها في مطلق ما وقع فيه الفناء الكثير؛ بمثل الجوع الناشئ عن القحط، أو بسبب الحمى بالنافض، أو بسبب الموت بالنزلات؛ كما ذكر ابن حجر رحمه الله¹⁰.

الكتب المصنفة في الطواعين والأوبئة:

سأحاول بإذن الله في هذا المبحث أن أعرج على بعض المصنفات، وسيكون ترتيبها على الشكل الآتي: المخطوط ثم المطبوع، وسأركز أصالة على المخطوط؛ ذاكراً مواضعه حتى يمكن الاستفادة منها، لمن أراد تحقيق مخطوط والعمل عليه.

أولاً: المصنفات المخطوطة:

هذه لائحة لبعض المصنفات والتقاييد والرسائل المخطوطة، والمدللة بأماكن وجودها، والقصد منها ذكر بعضها لا الإتيان على جميعها؛ إذ ذاك مما ليست تفي بحمله أسفار:

✓ وصية الناصح الأود في التحفُّظ من المرض الوافد إذا وَقَد، لابن منظور القيسي (ت711هـ)¹¹.

✓ حَلُّ الحُبَا لارتفاع الوبا، لولي الدين الملوي (ت774هـ)¹².

⁶ القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (7/ 132)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م

⁷ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد (4/ 35-36)، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون 1415 هـ / 1994 م.

⁸ من الصفحة 361 إلى الصفحة: 370، في عشر صفحات، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دَارُ العاصِمة . الرياض.

⁹ للشيخ زكريا الأنصاري، توجد منه نسخ متعددة، منها نسخة بمكتبة البلدية بالإسكندرية، وسيأتي الحديث عنه، والكتاب لم يحقق.

¹⁰ بذل الماعون، ص: 361، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دَارُ العاصِمة . الرياض.

¹¹ توجد منه نسخة بمركز الماجد بالإمارات.

عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين (ت954هـ)، لشمس الدين محمد بن محمد الرعياني، الشهير بالحطّاب(ت954هـ)¹³.

تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين، للإمام زكريا بن محمد الأنصاري السبكي (ت926هـ)¹⁴.
رسالة فيما ضبط أهل النقل في خبر الفضل في حق الطاعون والوباء،
لأبن نجيم زين الدين بن إبراهيم الحنفي (ت970هـ)¹⁵.

جواب في أحكام الطاعون، لأحمد بن مبارك بن محمد السجلماسي اللمطي (ت1156هـ)،
تقييد في الطاعون، لمحمد بن أبي القاسم بن محمد الزيزي (ت1214هـ).

أجوبة في أحكام الطاعون، لمحمد بن أحمد بن محمد الحاج الرهوني الوزاني (ت1230هـ)¹⁶.
مختصر عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين، لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود
البناني الفاسي¹⁷.

تقييد في الطاعون، لمحمد بن أبي القاسم السجلماسي الرباطي البجعي¹⁸.
أقوال المطاعين في الطعن و الطواعين، لأبي حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي
الحسني¹⁹.

حدائق العيون الباصرة في أخبار أحوال الطاعون والآخرة، لإبراهيم بن أبي بكر بن إسماعيل
العوفي الدنابي²⁰.

تأليف في أحكام الطاعون الواقع عام (1156هـ)، لمحمد بن الحسن البناني²¹.
أرجوزة توسلية لرفع وباء الطاعون، لمؤلف غير مذكور²².
عيون الآثار فيما في الطاعون من الأخبار، لمؤلف مجهول²³.

¹² توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية.

¹³ توجد منه ثلاث نسخ بالخزانة الحسنية برقم 5281 - 8344 - 8886 .

¹⁴ توجد منه نسخ، منها نسخة بالتيمورية برقم 141، وأخرى برقم 570، ونسخة أخرى بمكتبة البلدية الإسكندرية برقم 158 فنون.

¹⁵ توجد منه نسخة بجامعة الملك سعود برقم 4 217.

¹⁶ توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية برقم: 12369.

¹⁷ توجد منه نسختان بالخزانة الحسنية برقم: 14071 - 14124 .

¹⁸ توجد منه نسختان بالخزانة الحسنية برقم: 3626 - 3627 .

¹⁹ توجد منه نسختان بالخزانة الحسنية برقم: 2054 .

²⁰ توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية برقم: 6850 .

²¹ توجد منه نسخة برقم (10330) في مكتبة عبد الله گنون، وذلك وفق فهرست المكتبة ص (176).

²² توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية برقم: 1586.

مقامة في الوباء، تأليف: عمر المالقي الأندلسي²⁴.

ثانياً: المصنفات المطبوعة:

المصنفات في الطواعين والأوبئة التي طبعت كثيرة، ولكن حسبي أن أشير إلى بعضها، مرتبة حسب وفيات أصحابها:

مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، تأليف محمد بن أحمد التميمي المقدسي (كتبه عام 370هـ)²⁵.

دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، لابن سينا (ت 428هـ)²⁶: وقد قسمه مصنفه إلى سبع مقالات: 1- في تعديد أنواع الخطأ 2- في الهواء (أنواعه وأضراره) 3- في الحمام (تحذيرات، أضراره مياحه) 4- في الطعام (أنواعه، أضراره، تحذيرات) 5- في المياه 6- في الحركات (أنواعها، تحذيرات في أنواع الجماع) 7- في أمر الاستفراغ، وعلى الكتاب بعض التوضيحات لمصطلحات وأدوية وردت فيه. كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، للإمام جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود السرمرى الحنبلي (ت 776هـ)²⁷.

الطاعون وأحكامه، للشيخ الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد المنبجي (ت 785هـ)²⁸.

بَدَلُ الْمَاعُونِ فِي فَضْلِ الطَّاعُونَ، لِلْحَافِظِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَجَرَ الْعَسْكَلَانِيِّ (ت 862هـ)²⁹.
ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)³⁰.

ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون، للشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (ت 1033هـ)³¹.

²³ توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية برقم: 11749.

²⁴ توجد منه نسخة برقم (1872/ 4 د) بالخزانة الكتانية، ورقمها التسلسلي (3879) في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط.

²⁵ حققه يحيى الشعار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة 1999م.

²⁶ طبع عدة مرات، منها: تحقيق أحمد فريد المزيدي ومنى السيد الشلبي، طبعة دار الكتب العلمية.

²⁷ طبع في الدار الأثرية عمان ودار الحجة دمشق الطبعة الأولى 1425هـ، وقد علق عليه وخرج أحاديثه شوكت بن رفاي بن شوكت.

²⁸ طبع بتحقيق أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني، طبعة دار ابن حزم.

²⁹ طبع بتحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة. الرياض.

³⁰ طبع بتحقيق محمد علي البار في دار القلم بيروت سنة 1418هـ.

³¹ طبع بتحقيق خالد بن العربي مدرك، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، سنة 2000م.

خاتمة:

خلصت في هذا البحث إلى ما يلي:

✓ أن للوباء والطاعون في اللغة دلالات مختلفة، ومن الناحية الشرعية هناك من جعل الطاعون مرادفا للوباء، ومنهم من فرق بينهما، ويرى ابن القيم (ت751هـ) رحمه الله أن بينهما عموما وخصوصا، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونا، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون، فإنه واحد منها.

✓ أن الطواعين والأوبئة التي مرت في تاريخ الإسلام بدءا بالعهد النبوي ومرورا بعصر الخلفاء الراشدين ومن بعدهم إلى زماننا كثيرة، وقد ذكر منها الشيخ زكريا الأنصاري (ت926هـ) رحمه الله أزيد من 50 طاعونا.

✓ أن أغلب الطواعين والأوبئة التي مرت لا تدوم زمنا طويلا، وهذه من المبشرات، فإنه ما غلب عسر يسرين، وفرج الله قريب، عجل الله برحمته ولطفه.

✓ أن العلماء صنفوا كثيرا في الطواعين والأوبئة، ومنهم من صنف فيها لكون الوباء أو الطاعون وقع في زمنه، وفقد ذلك العالم كثيرا من أولاده وأحبابه، فكان هذا داعيا وسببا للتأليف، وهنا أشير إلى أنه ما زالت كثير من الكتب المخطوطة في هذا الشأن لم تنل يد عناية الباحثين، وقد ذكرت طرفا منها ودلت على مواطنها في خزائن المخطوط، فهذه دعوة للنظر فيها والعمل على تحقيقها، سواء في رسائل جامعية أو مشاريع علمية مفردة كانت أو جماعية، والله وحده الموفق.

✓ أن لهذه الأوبئة والطواعين أثارا بالغة تشمل الجوانب السلبية، وكذا الإيجابية، وهذه الأخيرة واضحة في نواحي مختلفة؛ سواء كانت عقديّة وروحية، أو علمية وثقافية، أو إبداعية وفكرية، أو أخلاقية وإنسانية.

لائحة المصادر والمراجع:

المخطوط:

- ✓ تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين، للشيخ زكريا الأنصاري (ت970هـ)، نسخة مكتبة البلدية الإسكندرية، رقم 158 فنون.
- ✓ رسالة فيما ضبط أهل النقل في خبر الفضل في حق الطاعون والوباء، لابن نجيم زين الدين بن إبراهيم الحنفي (ت970هـ)، نسخة بجامعة الملك سعود برقم 4ر217.

المطبوع:

- ✓ أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- ✓ إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- ✓ بذل الماعون في فضل الطاعون، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 - 862 هـ)، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة. الرياض.
- ✓ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ✓ دليل مخطوطات مكتبة عبد الله كنون طنجة، المغرب.
- ✓ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون 1415هـ / 1994م.
- ✓ العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ✓ فهرس الخزانة الوطنية بالمغرب.
- ✓ كشاف مخطوطات الخزانة الحسنية.
- ✓ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]، المحقق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000.
- ✓ المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990.

✓ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ)، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332 هـ.